محتوى مقرر الاخلاق الاسلاميه وأدآب المهنه

للدكتور: ابراهيم الجندان

اعداد: ضيوووو

المحاضره الاولى

أخلاق العرب قبل الإسلام، وتعريف الأخلاق، والفرق بين الأخلاق وبين بعض المصطلحات

➢ تمهيد: في أخلاق العرب قبل الإسلام.

❖ كانت أخلاق العرب قد ساءت وأولعوا بالخمر والقمار، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا.

❖ وليس معنى هذا أنهم كانوا كلهم على هذه الأخلاق الذميمة، بل قد كان فيهم كثيرون لا يزنون ولا يشربون الخمر، ولا يسفكون الدماء ولا يظلمون، ويتحرجون من أكل أموال اليتامى، ويتنزهون

عن التعامل بالربا، وكانت فيهم سمات وخصال من الخير كثيرة أهلتهم لحمل راية الإسلام ومن تلك الخصال والسمات:

- الوفاء بالعهد وحبهم للصراحة والوضوح والصدق: كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به، ويستهينون في سبيله قتل أولادهم، وتخريب ديارهم، وكانوا يأنفون من الكذب ويعيبونه، وكانوا أهل وفاء، ولهذا كانت الشهادة باللسان كافية للدخول في الإسلام.
- أنهم أهل مروءة ونجدة: العربي بفطرته ذو مروءة فهو يأبى أن ينتهز ضعف الضعيف، وعجز العاجز كالمرأة، والشيخ، والمريض، وهو ذو شهامة إذا استنجد به أحد أنجده.

- المضي في العزائم: كانوا إذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار لا يصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله.

الشجاعة: كانوا مضرب الأمثال فيها، وقد كان الواحد منهم يقابل الأسد في الصحراء فينازله حتى يقهره، وبعضهم لم يعرف الفرار ولا الهزيمة قط، وقد كان لهذه الفضيلة وزنها حينما جاء الإسلام، وفرض عليهم الجهاد

- الكرم: كان الواحد منهم لا يكون عنده إلا فرسه، أو ناقته، فيأتيه الضيف، فيسارع إلى ذبحها، أو نحرها له، وكان بعضهم لا يكتفي بإطعام الإنسان بل كان يطعم الوحش، والطير.
- العفو عند المقدرة: كان الواحد منهم ينازل خصمه، حتى إذا أمكنه الله منه، عفا عنه وتركه، بل كان يأبى أن يجهز على جريح.

- حماية الجار وإجارة المستجير: كانوا إذا استجار بالواحد منهم مستجير أجاره، وربما ضحّى بنفسه وولده في سبيل إجارته.

- **القناعة والرضا باليسير: فقد كان الواحد منهم يسير الأيام مكتفياً بتمرات يقيم بها صلبه، ورشفات من ماء يرطب بها كبده، وقلة تكاليف الحياة جعلتهم يكتفون بالقليل.**

- **جاء في الرحيق المختوم: " لعل أغلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعاً بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم، إذ لا يمكن قمع الشر والفساد، وإقامة نظام العدل والخير؛ إلا بهذه القوة القاهرة، وبهذا العزم الصميم".**

➢ تعريف الأخلاق لغة:

❖ الأخلاق لغة: جمع خلق -بضمِّ اللام وسكونها -، اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء.

❖ ومما يرادف لفظ (الخُلق) أو يقاربه في المعنى :

أ) الخِيم: وهو السجية والطبيعة.

ب) المـَلأَ: وهو الخُلُق والعشرة ، يقال: ما أحسن ملأ فلان أي خُلُقه وعشرته.

➢ تعريف الأخلاق اصطلاحاً :

❖ اختلفت عبارات العلماء والباحثين في تعريف الأخلاق، ويرجع ذلك إلى أن بعضهم يرى إطلاق الأخلاق على هيئة في النفس الإنسانية يصدر عنها السلوك، وبعضهم يرى إطلاق الأخلاق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني.

❖ **يلاحظ أن أكثر تعريفات المتقدمين ترى أن الأخلاق هيئة في النفس الإنسانية، فلا تطلق الأخلاق على المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، ولا على الفعل الصادر من خلق الإنسان كالشجاعة أو السخاء إلا على سبيل المجاز.**

❖ **من تعريفات المتقدمين تعريف الجرجاني، حيث عرف الأخلاق بأنها:**

هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا.

✓ **يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:**

1. أن الخلق صفة مستمرة لا عارضة، ثابت في الإنسان لا تنفك عنه، فمن أكرم الضيف مرة أو مرتين لا يوصف بالكرم، ومن صارع شخصاً فهزمه لا يوصف بالشجاعة، حتى يعرف ذلك منهما مراراً.

2. أن الامتثال بالخلق لا يحتاج إلى تكلف أو مجاهدة نفس، فمن تكلف السكوت عند الغضب بجهد لا يوصف بالحلم حتى يكون سكوته بلا تكلف ولا مجاهدة.

❖ **وعرفه بعض المعاصرين بأنه: صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.**

✓ **يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:**

1. **أن الأخلاق منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب.**
2. **أن الأخلاق لها آثار سلوكية، فالسلوك ليس هو الخلق، بل هو أثره وشكله الظاهر.**

❖ ومن المعاصرين رأى أن الأخلاق تطلق على نفس المبادئ وقواعد منظمة للسلوك الإنساني، ومن هذه التعاريف: مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.

✓ يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:

1. أن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، ليست نابعة من تأملات فلسفية أو عبارات نفعية، أو تجارب تربوية، وإنما في أصولها وفروعها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
2. أن هذه الأخلاق تنظم علاقة الإنسان بخالقه، وبنفسه، وبالآخرين.

❖ ولا بد أن نذكر أن مفهوم الأخلاق الإسلامية: مرتبط بمفهوم الإيمان، فمن آمن بالله وحده، وعبد الله وحده، وأحبّ الله سبحانه وتعالى حبّا يستولي على مشاعره، يستلزم هذا منه أن يتجه الإنسان المسلم نحو تحقيق رضا الله سبحانه، وهذا الاتجاه يستلزم من الإنسان سموّا عن الأنانية وعن الأهواء، وعن المآرب الدُّنيا، وعندما يعرف الإنسان حقيقة هذه الدنيا يكون سلوكه وعمله خلقاً من الدرجة الأولى، عندها نكون ماضين في طريق بلوغ الكمال الإنساني.

❖ يستفاد من هذا :

1. أن الأخلاق الإسلامية ترتبط بالإيمان ارتباطاً وثيقاً، فمن آمن بالله لا بد وأن يهذب الإيمان نفسه، وأن يقوده لمعالي الأخلاق.

2. أن الأخلاق في الإسلام ليست جزءاً من الدين بل هي جوهره وروحه. كيف لا ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

✓ والملاحظ أن الأخلاق في المعنى الاصطلاحي لا تبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي، فالعلماء يريدون بالأخلاق تلك الصفات التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ، ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم، حتى تصبح هذه الصفات كالسجية والطبع للإنسان.

➢ الفرق بين الأخلاق وبين بعض المصطلحات.

❖ أولاً: الفرق بين الأخلاق والقيم.

بعد أن تعرفنا على المعنى اللغوي والاصطلاحي للأخلاق، لابد من التفريق بين الأخلاق وبين المصطلحات الأخرى التي قد تتداخل معها، فإذا أردنا التفريق بين الأخلاق والقيم، فلا بد أن نعرف أولاً ماهي القيم؟

القيم بالمعنى العام «مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه».

❖ والقيم الإسلامية: مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهدافٍ وتوجهاتٍ لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

❖ يبدو واضحاً التقارب بين مفهوم الأخلاق والقيم الإسلامية، ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، فالقيم هي فضائل خلقية كما أنها المعيار لسلوك أفراد المجتمع، فجميع المسلمين تقوم أعمالهم في إطار غايات وأهداف الدين الإسلامي الحنيف.

❖ ثانياً: الفرق بين الأخلاق والغرائز:

الغريزة: هي الدافع للإنسان إلى عمل من غير فكر، وهي جزء من الفطرة.

وحتى يتضح المعنى نقول بأن الغريزة: "سلوك موروث أكثر من كونه مكتسبًا يمكن أن نصف الشخص الذي يميل إلى القتال دومًا بأنه ذو غريزة عدوانية، ولكن هذا الشخص لم يُولد ومعه رغبة القتال، ولو أتيحت له بيئة منزلية أو مدرسية مختلفة لما تطوّرت عنده تلك الخاصية."

❖ إن الصفات المستقرة في النفس ليست كلها من قبيل الأخلاق، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها:

1. أن الغرائز لا توصف بالخير أو الشر، بينما الأخلاق توصف بالخير أو الشر.
2. أن الغرائز لا تستوجب لصاحبها مدحً ولا ذماً، بينما الأخلاق يمدح صاحبها أو يذم حسب الخلق الذي تخّلق به.
3. لا يترتب على إشباع الغرائز ثواب أو عقاب، بينما يثاب من تخلّق بجميل الأخلاق، وقد يعاقب من تخلّق بقبيحها.

- ويمكن القول بأن طرق إشباع الغرائز والدوافع هو الجانب المرتبط بالأخلاق، والمدح والذم يكون على تلك الطريقة، وليس على نفس الغرائز، فمَنْ يأكل لدفع الجوع عن نفسه لا يُمدح ولا يُذم على فعل الأكل، وإنما يُمدح أو يُذمُّ على طريقته في الأكل.

❖ ثالثاً: الفرق بين الأخلاق والسلوك:

✓ السلوك: سيرة الْإِنْسَان ومذهبه واتجاهه يُقَال فلَان حسن السلوك أَو سيء السلوك.

✓ وعرف بأنه: مجموعة أفعال الكائن الحيّ استجابة للمؤثِّرات الداخليّة والخارجيّة.

بناء على ما سبق نقول: بأن الأخلاق صورة النفس الباطنة، والسلوك هو صورتها الظاهرة التي تدل عليها، ونحن نستدل على طبيعة أخلاق المرء بسلوكه الظاهر.

فالسلوك يعتبر للأخلاق كالنتيجة، فمن حسن خلقه صدر منه السلوك الحسن، ومن ساء خلقه صدر منه السلوك السيء.

المحاضره الثانيه

أهمية ومكانة الأخلاق الإسلامية

➢ أهمية الأخلاق الإسلامية.

أولًا: أن الأخلاق هي التي تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء في تحقيق حاجاته الطبيعية أو في علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى، ولهذا فالأخلاق زينة الإنسان وحليته الجميلة ، وبقدر ما يتحلى بها الإنسان يضفي على نفسه جمالاً وبهاء وقيمة إنسانية.

قال تعالى: ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)).

ثانياً: إن هدف الأخلاق تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية؛ ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها ، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي ، فتنتشر الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، واذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء ، وتناصر الناس من أجل المناصب ، والمادة ، والشهوات.

ثالثاً: إنها وسيلة مهمة للنهوض بالأمة: ذلك أن سقوط الأمم والحضارات كثيرًا ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، والأخلاق الرذيلة تعتبر نذير شؤم لأي أمة من الأمم، ومهما وصلت أمة في التقدم المادي والحضاري فليست بشيء إذا هي انحدرت في أخلاقها، وأصيبت في قيمها.

رابعاً: أن الأخلاق الحسنة من أسباب المودة وإنهاء العداوة.

والواقع يشهد بذلك، فكم من أخوة ومحبة كانت بدايتها حسن خلق، وكم من عداوةٍ انتهت لحُسن الخُلق، وكم من انشراح صدر وزوال هم كان بسبب حسن الخلق.

عن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع

أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)).

➢ مكانة الأخلاق في الإسلام.

للأخلاق في الإسلام فضلٌ كبير، ومكانة عظيمة، وهذا يظهر من وجوه كثيرة، منها ما يأتي:

أولاً: تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها، والعمل على إصلاح ما أفسدته الجاهلية منها.

فعن عن أبي هريرة – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

قال ابن عبدالبر -رحمه الله- : " وهذا حديث صحيح، ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل. فبذلك بُعث ليتممه صلى الله عليه وسلم".

ثانياً: تعريف البِرّ بأنه حُسْن الخلق، وهذا يدل على أن حسن الخلق جامع لكل أقسام الخير وخصال البر.

فعن النواس بن سمعان الأنصاري –رضي الله عنه-، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن البر والإثم فقال: ((البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس)).

قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق.

ثالثاً: إن كل المؤمنين يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتمنَّون قُربَهم منه يوم القيامة، وأكثر المسلمين ظَفَرًا بحب رسول الله والقرب منه مجلسًا يوم القيامة هم الذين حَسُنت أخلاقُهم، حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ألا أُخبِركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟))، فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثًا، قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: ((أحسنكم خُلُقًا)).

في هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفات فأولئك الأشرار، وإن كانوا يصلون، ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجّهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرم الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الخالص داعية الصبر والكرم، والحج المبرور ينمي خلق الصبر وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرم الأخلاق.

رابعاً: أن حُسْن الخُلُق من أكثر ما يُرجِّح كِفَّة الحسنات، ويثقل به موازين الأعمال يوم الحساب.

فعن أبي الدرداء قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من شيء يُوضَع في الميزان أثقل من حُسْن الخلق، وإن صاحب حُسْن الخُلُق لَيَبلُغُ به درجة صاحب الصوم والصلاة)).

خامساً: أن حسن الخلق أكثر عمل يدخل الناس الجنة.

فقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق)).

قال ابن القيم - رحمه الله-: «جمع النبي –صلى الله عليه وسلم- بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته».

سادساً: مدح الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بحُسْن الخُلُق، فقد جاء في القرآن الكريم في وصْف النبي الكريم قوله - عز وجل: ((وإنك لعلى خلق عظيم)).

والله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم؛ مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق في الإسلام.

سابعاً: أن من أهم عناصر الخيرية المطلَقة بين المؤمنين هو تحليهم بالأخلاق الفاضلة، والخِصال الحميدة.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أخيركم أحسنكم خلقًا)).

ثامناً: أوضح النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الأخلاق تتناسب طرديّاً مع الإيمان؛ فكلما زاد معدل الإيمان في القلب؛ سمت الأخلاق، والعكس بالعكس.

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)) .

قال ابن القيم – رحمه الله- : "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين».

المحاضره الثالثه

أقسام الأخلاق

أمهات الأخلاق

- **أقسام الأخلاق.**

أولًا: باعتبارها فطرية أو مكتسبة:

أ ـ أخلاق فطرية : وهي مكارم جبل عليها الإنسان، فتكون سجية وطبيعية له.

والأخلاق الفطرية قابلة للتنمية والتوجيه والتعديل؛ لأنَّ وجود الأخلاق الفطرية يدل على وجود الاستعداد الفطري لتنميتها بالتدريب والتعليم وتكرر الخبرات، والاستعداد الفطري لتقويمها وتعديلها وتهذيبها.

ومما يدل على الأخلاق الفطرية حديث أشج عبد القيس، الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن فيك خَلَّتين يحبهما الله: الحِلم، والأناة))، قال: يا رسول الله، أنا أتخلَّق بهما، أم الله جبَلني عليهما؟ قال: ((بل جبَلك الله عليهما))، قال: الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتين يحبهما الله ورسوله.

قال ابن القيم: فدل على أن من الخُلق ما هو طبيعة وجِبِلّة، وما هو مكتسب.

ب ـ أخلاق مُكتَسبة: يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها.

كما دلَّ على ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :((أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر)).

قال ابن القيم: فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخُلق كسبيًا أو هو أمر خارج عن الكسب؟ قلت: يمكن أن يقع كسبياً بالتخلق والتكلُّف، حتى يصير له سجيةً وملكة.

ثانياً: تنقسم الأخلاق من حيث علاقتها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الخلق مع الله:

<u>ونقصد به :</u> القواعد والأسس التي تَحكُم علاقة العبد بربه ـ سبحانه وتعالى ـ وما يتفرَّع عنها من آداب وممارسات ظاهرة وباطنة.

إنّ حق الله تعالى على الإنسان هو أعظم الحقوق على الإطلاق، والأدب مع الله هو أوجبُ الواجبات؛ إذْ هو الخالق، وحده لا شريك له، وما عداه مخلوق؛ فلا يستوي حقُّ المخلوق مع حق الخالق بحالٍ.

❖ من أصول المعاملة مع الله:

أ. لزوم طاعته واجتناب معصيته، والحرص على ألا يفقده ربه حيث أمره، وألا يراه حيث نهاه، سواءٌ ذلك في الغيب والشهادة، وفي السر والعَلَن، وفي العسر واليسر.

ب. احترام كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والتأدب معهما، والتسليم لهما، من غير غلوّ ولا تفريط في الفهم والتطبيق.

ج. إجلاله سبحانه، وتنزيهه عن كل نقْص، ووصْفه بما وَصَف به نفسه، وفْق ما جاء به كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعتقاد ذلك اعتقاداً جازماً.

د. إحسان الظن به سبحانه بما هو أهلُهُ عز وجل.

القسم الثاني: الخُلُق مع النَّفْس:

ونعني به : ما يَلتزِم به المسلم في خاصة نفسه من آداب وأخلاق، وما يسوس به نفسه من تهذيب وتزكية وتربية.

❖ ومن أصول معاملة الإنسان لنفسه:

أ. إلزام النفس بإخلاص العمل لله تعالى على كل حالٍ.

ب. إلزامها بالخُلُق الحسن والأدب مع الناس وسائر مخلوقات الله عز وجلّ، على أفضل وجه.

ج. البعد عن ظُلْم نفسه بشيءٍ مِن أنواع الظلم، سواءٌ كان ذلك بإتْباعها هواها على خلاف الشرع وحدودِ الاستقامة، أو بمَنْعها من الأخذ بالفُسْحة التي في ديننا.

د. إلزام النفس بالرضا عن الله، والرضا بقَدَرِ الله.

القسم الثالث: الخُلُق مع الخَلْق:

ونعني به : ما يَلتزِم به المسلمُ من أخلاق مع غيره، والأسس والقواعد الأخلاقية التي تَضبِط علاقته بالآخرين.

وهذا القسم يمكن تقسيمه إلى أقسام عدة؛ مِثْل: الخلق مع الأنبياء والرسل، والخلق مع الوالدين، والخلق مع أولي الأرحام، والخلق مع المؤمنين، والخلق مع الكافرين، وغير ذلك .

ومن أصول المعاملة مع الناس:

أ. أنْ تكون علاقته بهم قائمة على أساس علاقته مع الله.

ب. أن يَسُودُ الحُبُّ فيما بينهم وتختفي الكراهية والحِقد.

ج. أن يَسُودُ خُلُق إعطاء الحقوق، ويختفي العقوق ومنْع الحقوق.

د. أن يَسُودُ الإنصاف مِن النفس واتّهامها، ويختفي تَبْرئةُ النفس واتّهام الآخرين.

وإذا استعمَل الإنسان الأدب والمعاملة الحميدة المتعيّنة عليه تُجاه ربه الخالق سبحانه، وتُجاه الناس، وتُجاه نفسه، وتُجاه سائر مخلوقات الله تعالى؛ فإنه يَصير بذلك صاحِبَ أخلاقٍ حميدة.

فإذَنْ ليس بين الإنسان وبين مكارم الأخلاق إلا التعرّف على ما يَلزمه مِن معاملةٍ مع الله، ومع الناس، ومع نفسه، ومع المخلوقات الأخرى، ثم الالتزام والتطبيق.

➢ أمهات الأخلاق:

جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)).

هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

- **فقوله: (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين.**
- **ودخل في قوله: (وأمر بالعرف) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.**
- **وفي قوله (وأعرض عن الجاهلين) الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء.**

➢ **قال جعفر الصادق – رحمه الله-: "أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية".**

➢ **وقد أرجع العلماء جميع الأخلاق الفاضلة إلى أربعة:**

➢ **الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.**

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء، وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل وكظم الغيظ والحلم.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس.

- **وأرجع العلماء جميع الأخلاق السافلة، إلى أربعة:**
- **الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.**

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن.

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه. فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل، وعدم العفة والجشع، والذل والدناءات كلها .

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفه.

المحاضر الرابعة

خصائص الأخلاق الإسلامية

- **خصائص الأخلاق الإسلامية.**

الخصائص جمع خاصية، وهي: الصفة التي توجد في الشيء ولا توجد في غيره وخصائص الأخلاق في الإسلام تختص بها عن غيرها في القوانين الوضعية والأديان السابقة التي طالتها يد التحريف.

ثم إن الأخلاق الإسلامية تمتاز بجملة من الخصائص العظيمة التي تعكس روح الإسلام وجماله، وإليك بيان جملة من هذه الخصائص:

أولاً: أنها ربانية المصدر:

إن الأخلاق الإسلامية ليست رأيًا بشريًّا، ولا نظامًا وضعيًّا، إنما هي مستمدة من شرع ربِّ العالمين.

واستمدادها من الشريعة الإسلامية يكون بعدة طرق:

أ. من الأخلاق ما أثبته الشرع ابتداءً.

ب. ومنها ما أقره مما قد تعارف عليه الناس.

حتى ما لم ينصَّ عليه الشرع من محاسن الأخلاق، فربانيته في اندراجه تحت أصل شرعي عام: (ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن).

وتمتاز الأخلاق في الإسلام بخاصية الربانية من وجهين:

أحدهما: ربانية في مصدرها، أي أنها من الله تعالى هو الذي أمر بها وحث عليها ورغب فيها، ونهى عما يخالفها وحذر منه إما في القرآن الكريم أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الخاصية تنمح الأخلاق ثقة وقبولاً، وتجعلها في موضع الرضا والتسليم ، لخلوها من التناقض والاختلاف والغموض.

وما دامت ربانية المصدر فهي بذلك تخاطب العقل والمنطق، وهي كذلك ملائمة للفطرة السليمة.

ثانيهما: ربانية الغاية والقصد: مهما تخلَّق إنسان بالأخلاق الإسلامية، فإنها ستبقى صورة بلا روح، طالما لم يُرِد بها صاحبُها وجه الله ورضاه، فليس الغرضُ من الأخلاق الإسلامية وجودَ صورتها الخارجية، وإنما تهدف إلى أن تملك على المسلم قلبه، فيدفعه إليها إيمانه، ويزيده الالتزام بها إيمانًا.

ويبين ربانية الغاية والمقصد قوله تعالى: ((ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)).

وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم {مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} .

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: ((إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً)).

أي: لا جزاء مالياً ولا ثناء قولياً.

ثانياً: أنها أخلاق شاملة:

معنى شمولية الأخلاق في الإسلام: أنها ما تركت خلقاً فاضلاً إلا ودعت إليه، ولا خلقاً مذموماً إلا ونهت عنه، مستوعبة في ذلك الزمان والمكان.

فلا يقال: إنها تصلح لزمن ولا تصلح لآخر، ولا أنها تصلح لبيئة دون أخرى.

إن الأخلاق الإسلامية تتنوع فتشمل أخلاق الإنسان الخاصة مع نفسه أو المتعلقة بغيره، سواء كان فردا أو جماعة أو دولة، وسواء كان مسلماً أو كافراً، وسواء كان ذلك في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، <u>ونوضح ذلك ببعض الأمثلة:</u>

1. من الأخلاق ما يتعلق بالأسرة:

أ. في العلاقة بين الزوجين أمر أن تكون بالمعروف والرفق والإحسان، قال تعالى: ((وعاشروهن بالمعروف)).

ب. في العلاقة مع الأولاد يأمر الإسلام بالعدل بينهم في المعاملة والعطية، يقول صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)).

ج. في العلاقة بين الأرحام أمر بصلة الرحم، قال تعالى: ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

2. من الأخلاق ما يتعلق بالمجتمع:

أ. حث على أخلاق وآداب زيارة الناس، قال تعالى: ((لا تدخلوا بيوتاً حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)).

أرشد الله عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفاسد:

منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال " إنما جعل الاستئذان من أجل البصر " فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حَتَّى يَسْتَأْنِسُوا أي: يستأذنوا. سمي الاستئذان استئناسا، لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة

ب. في مجال الاقتصاد والمعاملات أمر بالقسط والعدل، ومنع من الحيلة والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ((ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)).

وما ذكر في الآية من الكيل والوزن هو مثال، فيقاس عليه كل ما شبهه، فكل من طلب حقه كاملاً ممن هو عليه ومنع الحق الذي عليه فإنه داخل في الآية الكريمة، كمن يطلب حقه من أولاده ويمنعهم حقوقهم، ومن يطلب حقه من زوجته ويمنعها حقوقها.

ج. في مجال السياسة والحكم يأمر بالعدل والأمانة، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } .

3. خُلُق مع غير المسلم، وذلك بأن يتحلى المسلم مع غير المسلم بالعدل والإحسان وحُسْن القول والمعاملة.

من ذلك قوله تعالى: ((لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)).

وقول النبي ρ: ((ألا من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ)).

والمعاهَد هو الذي يعيش في كنف المجتمع المسلم مسالماً.

ثالثاً: أنها أخلاق مثالية واقعية:

معنى كونها واقعية: أي أنها عملية وقابلة للتطبيق، ولا يستعصي على أحد الإتيان بها والاستمرار عليها.

ومعنى كونها مثالية: أنها تستجيب لتطلعات مَنْ نفسه أبيةٌ تتوق إلى معالي الأمور، وتسعى للتحلي بالفضائل والقيم، ولا يرضى أن يكون كعامة الناس، ففسح الشارع له في ذلك.

إن الأخلاق الإسلامية تدعو الناس إلى السمو، وتراعي نفسية البشر واحتياجاتهم وقدراتهم على الارتقاء، كما تراعي حقهم في ألا يُعتدَى عليهم، وفي أن يُقتص لهم، فلا تطالبهم بما فوق طاقتهم، عملًا بقوله تعالى: ((فاتقوا الله ما استطعتم)).

من أمثلة الواقعية المثالية:

أ. أن الجائع لايعد خائنًا للأمانة إن سرِق ليأكل.

ب. ولا يعتبر الخائف أو المكرَه ناقضًا للصدق إن كذب لينجو - حين لا ينجيه من البطش إلا الكذب -.

ج. كما أن الشريعة الإسلامية أعطت المسلم حق الدفاع عن نفسه ورد الظلم عنه وعن ماله وعرضه، وأن يدفع السيئة بمثلها، ثم تركت مساحة لمن يقوى على تحمل الظلم، محتسباً أجره على الله فقال تعالى: ((وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله)).

قال الشوكاني –رحمه الله-: "ذكر- سبحانه- المغفرة عند الغضب في معرض المدح فقال: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون» كما ذكر الانتصار على الباغي في معرض المدح- أيضا- لأن التذلل لمن بغى، ليس من صفات من جعل الله له العزة، حيث قال- سبحانه- وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ. فالانتصار عند البغي فضيلة، كما أن العفو عند الغضب فضيلة".

رابعاً: أنها أخلاق وسط:

تأتي الوسطية بمعنى: العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط.

ومن ذلك قوله عز وجل: ((وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)).

وهذه الخاصية أكبر من أن يقدر على تحقيقها العقل البشري، ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يصنعه البشر من الإفراط أو التفريط بحسب طبيعة كل إنسان، ولذلك فإن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود حقه هو الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً.

ومن شواهد وسطية الأخلاق ما يأتي:

1. حديث عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت :((ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا

كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها)).

ففي الحديث تقص علينا عائشة – رضي الله عنها – عظيم خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، وتذكر خلقين من أخلاقه العالية، هما اختيار الأسهل الأيسر ما لم يكن محرماً، وعدم الانتقام لنفسه ما لم تغش محارم الله، فينتقم لله.

2. أن الشريعة الإسلامية أقرت التفاوت الفطري والعملي بين الناس، فليس كل الناس في درجة واحدة من حيث قوة الإيمان، والالتزام بما أمر الله به من أوامر، والانتهاء عما نهى عنه .

فهناك مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان وهي أعلاهن، كما أشار إلى ذلك حديث جبريل المشهور، ولكل مرتبة أهلها. وهناك الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم، وإلى هؤلاء يشير قوله تعالى في سورة فاطر: ((ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)).

فالآية الكريمة تجعل هؤلاء الأصناف الثلاثة -على تفاوت مراتبهم- من الأمة التي اصطفاها الله من عباده، وأورثها الكتاب.

3. ومن وسطية الأخلاق في القرآن أنها لم تتصور في أهل التقوى أن يكونوا سالمين من كل عيب، بعيدين عن كل ذنب، كأنهم هم ملائكة أطهار، بل قدرت حقيقة الإنسان وطبيعته البشرية، المركبة من الروح والطين، فإذا كانت الروح تعلو به مرة، فإن الطين يهبط به تارة، وفضل المتقين على غيرهم إنما في التوبة والرجوع إلى الله عند ارتكاب الذنوب.

قال تعالى: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ))

ويبين القرآن الكريم مهمة الأخلاق الخطيرة مع الإنسان منذ النشأة الأولى، حين ذكر توبة أبينا آدم، وأنه ثاب إلى خلق رضي من أخلاق

الإيمان وهو الاعتذار عن الخطأ، والاعتراف به، والافتقار إلى مولاه فقال هو وزوجه: ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)).

ويقارن القرآن الكريم هذا الخلق بخلق مضاد له وهو الاستكبار والإباء عن أمر الله -عز وجل- الذي أهلك إبليس، وطرده من رحمة الله عن سعتها.

5. قوله تعالى: ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)).

في الآية نهى الله الإنسان بأن يمسك إمساكاً يصير به مضيقاً على نفسه وعلى أهله، ولا يوسع في الإنفاق توسيعا لا حاجة إليه بحيث يكون به مسرفا، فهو نهي عن جانبي الإفراط والتفريط. ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط، وهو العدل الذي ندب الله إليه.

6. قوله تعالى: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)).

أي لا تترك حظك من لذات الدنيا التي أباحها الله من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والزواج، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. وهذه هي وسطية الإسلام في الحياة.

ومن المناسب هنا أن أذكر أن التوسط في الأخلاق، لا يعني البينية مطلقاً، أي: الوسط بين خلقين دائماً، فلا وسطية بين الصدق والكذب مثلاً.

المحاضره الخامسه

وسائل اكتساب الأخلاق

➢ وسائل اكتساب الأخلاق.

يزعم البعض أن الأخلاق لا يتصور تغيرها، لأن الخلق كله فطري ومن جنس الخِلقة.

ويمكن الإجابة على هذا التصور بأمور:

أ. أنه ولو صح ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والخطب.

ج. أن تغير خلق البهيمة ممكن، وكم من حيوان نقل من الاستيحاش إلى الاستئناس والسياسة والانقياد كالكلب والفرس الجموح، بل حتى الأسد والنمر والصقر والقرد، وكل ذلك تغيير للأخلاق، فأجدر بالإنسان أن تتغير أخلاقه بالتدريب والرياضة.

❖ ثم إنه لا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغيير الأخلاق التي طبعت عليها النفس، إلا أن ذلك ليس متعذراً ولا مستحيلاً، بل إن هناك أسبابا عديدة، ووسائل متنوعة يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق.

ومن ذلك ما يلي:

أولاً: سلامة العقيدة:

إن شأن العقيدة عظيم، وأمرها جلل، فالسلوك- في الغالب- ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر، وما يعتقده من معتقد، وما يدين به من دين.

والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد.

- وقد جاء الربط في كتاب الله بين الكفر وسوء الخلق؛ فقد أخبر الله - تعالى - عن الكافرين وهم في النار فقال : ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ)).
- أي: قال المجرمون لأصحاب اليمين: الذي أدى بنا إلى الإلقاء في سقر، أننا في الدنيا لم نقم بأداء الصلاة الواجبة علينا، ولم نعط المسكين ما يستحقه من عطاء، بل بخلنا عليه، وحرمناه حقوقه..

- وكنا- أيضا- في الدنيا نخوض في الأقوال السيئة وفي الأفعال الباطلة مع الخائضين فيها، دون أن نتورع عن اجتناب شيء منها.
- وأصل الخوض: الدخول في الماء، ثم استعير للجدال الباطل، وللأحاديث التي لا خير من ورائها.

ثانياً: التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق:

إن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها، من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها.

فكلما تَصَعَّبَت النفس فذكِّرها تلك الآثار، وما تجني بالصبر من جميل الثمار، فإنها حينئذ تلين، وتنقاد طائعة منشرحة، فإن المرء إذا رغب في مكارم الأخلاق، وأدرك أنها من أولى ما اكتسبته النفوس، وأجل غنيمة غنمها الموفقون، سهل عليه نيلها واكتسابها.

ويمكنك النظر في آثار أخلاق السلف عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.

وانظر كذلك في عواقب سوء الخلق: وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم، والهم الملازم، والحسرة والندامة، والبغضة في قلوب الخلق، فذلك يدعو المرء إلى أن يُقْصِرَ عن مساوئ الأخلاق، وينبعث إلى محاسنها.

ثالثاً: الجليس الصالح والبيئة الصالحة:

فالمرء مولع بمحاكاة من حوله، شديدُ التأثر بمن يصاحبه.

ومجالستهم تكسب المرء الصلاح والتقوى، والاستنكاف عنهم تَنَكُّبٌ عن الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)).

وقال تعالى: ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)).

وعن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل

المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة".

قال النووي: "فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة".

و عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء،

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة ."

قال النووي: "قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم وينتفَع بصحبتهم".

وقال ابن حجر: "التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها".

رابعاً: القدوة الحسنة:

قال الله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)).

إن القدوة هي أعظم طرق اكتساب الأخلاق، فلا بد للطفل من قدوة في والديه ومدرسته كي يتشرب الأخلاق الإسلامية ويسير على نهجها، ولا بد للكبار من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وأخلاقه، ولا بد للمجتمع من قدوة في قيادته بحيث يتطلع إليها ويسير على منوالها، ولا بد أن تكون قدوة الجميع هي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

خامساً: التدريب العملي والممارسة التطبيقية:

ولا بد في بداية الأمر من تكلف ومجاهدة، وقسر النفس على غير ما تهوى؛ فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلّم، والصبر بالتصبّر، والاستعفاف بالتعفّف.

قال - صلى الله عليه وسلم -: ((ومن يستعفف يعفّه اللَّه ومن يستغن يُغنه اللَّه، ومن يتصبّر يُصبِّره اللَّه)).

المحاضره السادسه

الإلزام الخلقي والمسؤولية والجزاء

يرتبط الإلزام الخُلُقي، والمسؤولية الخُلُقية، والجزاء الخُلُقي، ببعضها ارتبط العلة بالمعلول، فيكون الإلزامَ أولاً، فتترتب عليه المسؤوليةُ، فيلزم منهما الجزاءُ.

وفيما يأتي تعريفٌ موجزٌ بكلٍ منها:

- **تعريف الإلزام الخلقي، وذكر مصادره والعوامل التي تحمل عليه.**

❖ تعريف الإلزام الخلقي:

الإلزام في اللغة: الفرض والإيجاب.

ويمكن تعريفه اصطلاحاً بأنه: تكليفٌ صادرٌ من الشرع بامتثال خُلُقٍ محمودٍ، أو اجتنابِ خُلُقٍ مذموم.

وهذا التكليف أعم من أن يكون جازماً أو غير جازم، وفي جانب الفعل أو الترك.

- **مثال السلوك الخُلُقي المطلوب فعله على سبيل الحتم والإيجاب: بر الوالدين.**
- **ومثال المطلوب فعله ولكن ليس على سبيل الحتم والإيجاب: إماطة الأذى عن الطريق، وهو المندوب.**
- **ومثال المطلوب تركه طلباً جازماً: الكِبْر والحسد، وهو الحرام.**
- **ومثال المطلوب تركه ولكن ليس على سبيل الحتم: أن يشرب الماء في نفس واحدٍ، أو أن يتنفس في الإناء، وهو المكروه.**

❖ مصادر الإلزام الخلقي:

○ المصدر الأول: القرآن الكريم :

يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للإلزام الخلقي، إذ أن آياته تنتظم على النحو الآتي:

*** آيات الاعتقاد وهي تتعلق بما يجب على المكلف أن يعتقده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.**

***آيات تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل ويتخلى عنه من الرذائل.**

*** آيات تتعلق بما يصدر عن المكلف من أعمال وأقوال وتصرفات وهي على نوعين: العبادات، ويقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه، والمعاملات ويقصد بها تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض سواء كانت علاقات أفراد أو أمم أو جماعات، وهذه تضم أخلاقاً تتصل بالأسرة، والقضاء ونظام الحكم، ومعاملات الدولة الإسلامية، ومعاملات غير المسلمين، كما تضم أخلاقا تتصل بالنواحي المادية والاقتصادية.**

○ المصدر الثاني: السنة النبوية:

ما صدر عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم لا يخلو مما يلي:

- **بيان المنهج الإسلامي، فهذا شرع متبع، وبالتالي يكون خلقاً من أخلاق الإسلام.**
- **ما صدر عنه بمقتضى طبيعته البشرية، أو صدر عنه بمقتضى الخبرة البشرية أو بمقتضى العادات الجارية، فهو ملزم إذا قام على ذلك دليل يدل على أن المقصود من فعله الاقتداء.**
- **ما صدر عنه ودل الدليل على أنه خاص به، فلا يعتبر تشريعاً لعموم المسلمين.**
- **وعليه: فإن ما يثبت بدليل يقصد به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو من قبيل الإلزام، لأنه قانون يجب اتباعه .**

- **ومهما يكن من أمر، فإن السنة زاخرة بالأخلاق، ولا غرو فهي حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم، والمجتمع الإسلامي المعاصر له، ولأنها مصدر تشريعي لهذه الحياة كانت بالتوجيه ملازمة للقرآن، وبالتالي فإن اعتبارها مصدر الإلزام الخلقي أمر واجب.**

○ المصدر الثالث: الإجماع:

إن دور الإجماع هو حسم مشكلة جديدة، ذات طابع أخلاقي أو فقهي، أو عبادي، قال تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)).

- **قال السعدي –رحمه الله – "يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس».**

❖ العوامل التي تحمل على الالتزام الخلقي:

هناك جملة من العوامل تحمل المرء على الالتزام، وتعينه عليه، وهي تنقسم إلى داخلية وخارجية:

العوامل الداخلية:

ويمكن حصرها في أربعة: الإيمان والعقل والفطرة والضمير.

الإيمان: ونعني به الإيمان بالله وبرسالاته وباليوم الآخر، فإن لها أكبر الأثر على الالتزام بالأخلاق الحميدة.

العقل: وذلك أن الإنسان إذا رأى أن عاقبة فعله ستكون نافعةً ومفيدةً أقْدَمَ عليه، وإذا رأى أنها ستكون ضارةً أو أليمةً أحجمَ عنه.

الفِطْرة: فقد غرس الله سبحانه في الإنسان الفِطْرة، وجعلها تهفو إلى الإيمان والخُلُق الحميد إذا تركت وشأنها، ولم تتدخل الأطراف الخارجية.

الضمير: (أو ما يسمى بالوازع الديني) ويُقصد به ذلك الشعور الخفي الذي يُحِسُّ به المرءُ في أعماق نفسه، يناديه ويدفعه إلى ممارسة فعلٍ أو الكف عنه. وحين يستجيب لندائه يغمره شعور عارم بالراحة واللذة، بعكس ما لو تجاهله، حيث يشعر بالانقباض والألم النفسي.

العوامل الخارجية:

ويمكن حصرها في عاملين رئيسين:

المجتمع: فإن الأمة كلها مطالبة بأن تراقب أفعال أبنائها وتصرفاتهم، وتأخذ على يد الظالم والعابث، وإلا نال جميعهم شؤم المعصية وشرها، كما قال تعالى: ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)).

السلطة الحاكمة: إن أهم واجبات السلطة الحاكمة (ولي الأمر أو من ينوب عنه) هو حملُ الناسِ على الالتزام بحدود الشرع الحنيف أمراً ونهياً، والتحلي بمكارم الأخلاق، والابتعاد عن الرذائل.

➢ تعريف المسؤولية الخلقية، وذكر خصائصها.

❖ تعريف المسؤولية الخلقية:

المسؤولية كلمة حديثة الاستعمال، ليس لها وجود في استعمالات الفقهاء المتقدمين، إنما هي تعبير استعمله بعض الفقهاء المتأخرين.

إن الأخلاق الإسلامية قائمة على التكليف، ويعني هذا أن الأخلاق الإسلامية قائمة على المسؤولية التي تلزم الإنسان بالعمل الخلقي.

يقصد بالمسؤولية: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله" .

❖ شروط المسؤولية الخلقية:

1. الإعلام والبيان:

إن الإنسان يجب أن تصل إليه الدعوة، وذلك حتى تستيقظ الضمائر الغافلة، وهذا لا يتم إلا بإعلام الإنسان بما هو مفروض وواجب عليه فعلاً أو تركاً، بمعنى أن الإنسان لابد أن يكون عالماً بما هو مكلف به.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يعلم الإنسان وتعلم الأمم بواجباتها وحقوقها عن طريق الرسل الذين يذكرونهم دائما بالأوامر الشرعية من أجل تحقيق المسئولية والالتزام، وقد وردت الآيات القرآنية دالة على ذلك، فما كان الله ليحاسب إلا بعد الإبلاغ والبيان والإعلام،

وما كان الله ليعذب أهل القرى دون أن يرسل لهم الرسل والأنبياء لدعوتهم إلى التقوى والصلاح وحتى يكونوا شهداء عليهم، قال تعالى: ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)).

قال الشوكاني – رحمه الله- " ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسله، وإنزال كتبه، فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم، والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل، وبه قالت طائفة من أهل العلم."

2. الالتزام الشخصي:

تتسم المسؤولية الخلقية في الإسلام بأنها ذات طابع شخصي فردي خالص، قال الله تعالى: ((مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)).

ففي الآية إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد.

3. النية (القصد) :

الإنسان غير مسؤول عن الأعمال اللاإرادية، ولا هو مسؤول عن الفعل الخطأ غير المقصود؛ وذلك لعدم استهدافها الشر أو الخطأ. فالإنسان لا يحاسب على عمل إلا إذا توافر القصد الكامل له، وهذا مصداق قوله

سبحانه وتعالى: ((وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)).

وهكذا يظهر دور النية في الأخلاق الإسلامية باعتبارها شرطاً ضرورياً، ومصداق هذا قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنما الأعمال بالنيات» .

يفيد الحديث أن الأعمال لا قيمة لها إلا بالنية، وأن الأعمال بنياتها، وهذا يؤكد وجود النية كشرط لقيمة الفعل الخلقي .

4. حرية الاختيار:

أي أن يكون الخلق نابعاً من إرادته، مختاراً فيه؛ وإلا فلو كان مكرهاً لم يتحمل مسؤولية تصرفه؛ لأنه بذلك يكون قد تحول إلى آلة لتنفيذ الفعل، ولا يُنسب الفعل إليه. قال تعالى: ((مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَاللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)).

فبين أن الإثم مرفوع عن المكره ولو نطق بكلمة الكفر مادام يجد قلبه مطمئناً بالإيمان، وفي الحديث أيضاً يقول النبي ρ : ((إنَّ اللَّهَ وَضَعَ عن أمتي الخطأ والنسيَانَ وما استُكْرِهُوا عليه)).

➢ تعريف الجزاء الخلقي، وذكر أنواعه.

❖ تعريف الجزاء الخلقي:

تعريفه: هو المكافأة أو الأثر المترتب على الفعل الأخلاقي. سواءٌ أكان هذا الجزاء ظاهراً كالسجن، أم باطناً كتأنيب الضمير. وسواءٌ أكان في الدنيا، أم في الآخرة.

للجزاء الأخلاقي ثلاثة أنواع هي:

1- الجزاء نفسي داخلي. 2- الجزاء الشرعي. 3 - الجزاء الإلهي.

وفيما يلي تناول موجز لهذه الأنواع:

- **أولاً: الجزاء الأخلاقي المباشر:**

يباشر الإنسان عمله طبقاً لقواعد يعرفها ويحس بها، وبعد ذلك تحدث في النفس أصداء معبرة عن الرضا في حالة النجاح، وعن الألم في حالة الفشل.

إن الجزاء النفسي الداخلي يلمسه المسلم من نفسه بالرضا عند الطاعة، والألم عند المعصية، وهو ما يسمى برضا الضمير، أو تأنيبه ووخزه.

وقد أخبر الرسول ρ عن ذلك الشعور واعتبره من علامات الإيمان، فقال: ((من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن)).

- انياً: الجزاء الشرعي:

المراد بالجزاء الشرعي: تلك العقوبات التي أقرتها الشريعة الإسلامية لأولئك الذين يتعدون حدود الله، فيظلمون بذلك أنفسهم أولاً، وغيرهم ثانياً.

وبالنظر في نظام المجازاة في التشريع الإسلامي يمكن أن نميز فيه مرتبتين أساسيتين هما:

الحدود: هي الجزاءات التي حددها الشرع بدقة وصرامة. وهي من حقوق الله تعالى، ولا تسقط بالعفو ولا بالصلح.

التعزيرات: وهي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لا حد فيها.

- ثالثاً: الجزاء الإلهي:

قد يكون الجزاء الإلهي معجلاً في الدنيا، ومن أمثلته من كتاب الله: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)).

وقد يمتد أو يؤجل الجزاء الإلهي إلى الآخرة ، قال تعالى: ((أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون)).